

فن السيرة الذاتية في الأدب العربي تاريخه وملامحه

ياسين أكبر جوهر*

Abstract

The Art of Writing Autobiography in Arabic Literature: History and Features

Yaseen Akbar Jauhar*

This article aims to explore the historical background and features of the art of writing autobiography in Arabic literature. Autobiography is a form of literature. This research examines the art of writing autobiography in Arab history and traces its origins to the ancient Arab customs and traditions. There are several examples of autobiographies in classical Arabic literature that shed light on the art of writing autobiography in Arabic literature. These examples include the autobiographies of Ḥunayn b. Ishāq, Abū bakr al-Rāzī, and Ḥakīm al-Tirmidī etc.

Keywords

Arabs, autobiography, literature, art, writing, history.

* باحث بمرحلة الدكتوراه في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.

* Ph.D Scholar, Faculty of Arabic, International Islamic University, Islamabad, Pakistan.

مدخل

مرّ النثر العربي خلال تطوره بمراحل مختلفة، والأدب العربي بصورة عامة، كان شاملاً لأجناس أدبية ظهرت قديماً، ثم وُجد لها في العصر الحديث "عناصر فنية" أسهمت في تطورها على نحو خاص، ويعتقد بعض النقاد العرب أن بعض الأجناس الأدبية النثرية، مثل الرواية والمسرحية، والقصة القصيرة؛ إنما أخذت من الغرب^(١). ولكن الحقيقة تقول غير ذلك، فإن من يُمعن النظر في تراثنا وأدبنا العربي القديم سيجد نماذج وأصولاً كثيرة من هذه الفنون الحديثة، وإن كان القدماء لم يستخدموا لها هذه المصطلحات التي عُرفت حديثاً. ولا ننكر تأثر أدبائنا العرب المحدثين في بعض عناصرها بالغرب^(٢).

وتُعد السيرة الذاتية من تلك الأجناس الأدبية التي ظهرت في الأدب العربي الحديث كفن أدبي مستقل يتحدث الكاتب فيها بقلمه عن مواقفه الذاتية وما مرّ به في حياته من أحوال وأهوال، فيسجل حوادثه وأخباره، ويسرد أعماله وآثاره، ويذكر أيام طفولته وشبابه وكهولته، وما جرى له في هذه المراحل من أحداث الفرح والتّرح، والتي تَعْظُمُ حيناً وتضعُفُ أخرى، وهي عند بعضهم: "شركٌ للحديث عن النفس والزهو بها وإعلاء قيمتها، ولكنها إذا اعتدلت كانت أصدق ما يكتب عن رجل وأكثر انطباقاً على حياته، لأنها ليست مجال تخمين أو افتراض، ولكنها مجال تحقيق وتثبيت، وبهذا يصح في المترجم الذاتي مضرب المثل: "قطعت جهيّزة قول كل خطيب"^(٣)، وقد يُسجّل فيها الوقائع والأحداث يوماً فيوماً أو بصورة متقطعة بعد أن تُجمَع عناصرها من مصادر متعددة، وقد

-
- ١- منهم؛ عبد الرحمن بدوي الذي قال: "إن الكتاب في العربية الذين كتبوا في هذا الباب قليلون، وأغلبهم ليسوا عرباً خلصوا بل ينتسبون إلى الجنس الأري من فرس وموال على اختلاف أجناسهم". انظر: عبد الرحمن بدوي، الموت والعبقرية (القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٤٥م) ص ٥٠.
- ٢- سيد إبراهيم أرمن، "السيرة الذاتية وملاحظها في الأدب العربي المعاصر"، مجلة فصلية دراسات الأدب المعاصر، العدد ١١، المجلد ٣، الحريف ١٤٣٢هـ، جامعة آزاد الإسلامية، جيرفت بطهران- إيران، ص ٩.
- ٣- محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير (القاهرة: دار المعارف) ط ١، (ب. ت) ص ٢٣، بتصرف يسير.

ورد في معجم المصطلحات الأدبية: أن السيرة الذاتية "سرد متواصل يكتبه شخص ما عن حياته الماضية"^(٤).

ومن البدهي أن ظهور أي فن من الفنون تسبقه بعض المقدمات والعوامل، تكون ممهدة لظهوره أو باعثا في نشأته أو في تقدمه نحو النهضة والازدهار أو فيها معا، وفن السيرة الذاتية من تلك الفنون التي سبق ظهورها الكثير من المقدمات، وساهمت في نشأتها العديد من العوامل؛ ويمكن اعتبار الظواهر الأدبية العالمية، والتي من أهمها؛ ظاهرة التأثير والتأثر بين الآداب المختلفة، وهي إحدى أهم تلك العوامل التي ساهمت في ظهور هذا الفن وتطوره.

المبحث الأول: ملامح فن السيرة الذاتية عبر العصور والسيرة الذاتية في الأدب العربي

المطلب الأول: ملامح فن السيرة الذاتية عبر العصور

إن الاختلاف حول الزمن الذي نشأ فيه فن السيرة الذاتية كبير جدا، إلى درجة يعده بعض الباحثين من أقدم الفنون الأدبية نشأة، والفريق الآخر يرى أنه من أحدث الأجناس الأدبية، وهذا الاختلاف يرجع في الدرجة الأولى إلى الاختلاف حول مفهوم السيرة الذاتية عند كل من الفريقين، فالذين يرون أنه من أقدم الفنون الأدبية نشأة، يعدّون كل عمل نشري يتحدث فيه كاتبه عن ذاته "سيرة ذاتية". أما الذين يجعلونها من الفنون الأدبية الحديثة، فهم الذين رأوا أن للسيرة الذاتية بناء خاصا، وهذا البناء الخاص لم تبدأ ملامحه بالظهور إلا في نهاية القرن الثامن عشر.

وقد أرجع الباحثون الذين رأوا أن السيرة الذاتية من أقدم الفنون الأدبية، نشأتها إلى الحضارات القديمة التي وصلتنا آثارها. فيرى "ول ديورانت": أن السومريين ثم البابليين اعتنوا بالحديث عن أنفسهم، لكن في سياق التاريخ وليس في سياق قصصي مثل المصريين. ويرى الدكتور أحمد شوقي عبد السلام ضيف المعروف بـ"شوقي ضيف" أن أقدم صورة للسيرة الذاتية

٤- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية (تونس: المؤسسة العربية، ١٩٨٦م) ص ٢٠٢.

هي ما كان ينقشه القدماء على شواهد قبورهم، ثم يشير إلى اشتها الفراعنة بهذه النقوش، يقول: واشتهر المصريون في عصور الفراعنة بكثرة ما نقشوا على قبورهم وأهراماتهم وفي معابدهم وهياكلهم من توارينهم وأفعالهم. وكانت تسرى هذه الروح في الأمم القديمة من حولهم^(٥). وإذا كان الدكتور شوقي ضيف يرى أن بذور السير الذاتية نمت في مصر ثم امتدت إلى الحضارات المجاورة، فإن ماهر حسن فهمي يرى: أن جذورها كانت متشعبة في الحضارات المصرية والبابلية والهيلينية على حد سواء، يقول: "تاريخ السيرة الذاتية هو إلى حد كبير صورة من العقلية الإنسانية في مغامراتها من أجل البحث عن الحقيقة، ومن أجل ذلك كانت جذورها الأولى متشعبة في الحضارات القديمة، كالمصرية والبابلية والهيلينية وغيرها"^(٦).

أما الذين قالوا إن السيرة الذاتية حديثة النشأة فمن أشهرهم جورج ماي^(٧)، الذي يؤرخ لنشأة السيرة الذاتية بـ: اعترافات جان جاك روسو (ت: ١٧٧٨ م) "ومن ثم أصبح مؤلف روسو رمزا لنشأة جنس أدبي جديد"^(٨). وهو لا ينكر وجود اعترافات سابقة لـ: اعترافات روسو، التي كتبها في نهاية القرن الثامن عشر، لكنه يرى أن اعترافات روسو هي نموذج أصبح يحتذى في مجال السيرة الذاتية. ومن أشهر الاعترافات؛ اعترافات القديس "أوغسطين" (ت: ٤٣٠ م)، التي يرى وليم سبينج مان: أنها شكلت الإرهاصات الأولى لنشأة ثلاثة من أشكال السيرة الذاتية، وهي الأشكال التاريخية، والفلسفية، والشعرية. ويرى عبد العزيز شرف: أن "اعترافات القديس

-
- ٥- ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود (بيروت: دار الجيل) ط١ (ب. ت) ج١، ص ١١١، والترجمة الشخصية للدكتور شوقي ضيف (ب. ت) بتصرف يسير (القاهرة: دار المعارف) ط٤، ص ٧.
- ٦- ماهر حسن فهمي، السيرة تاريخ وفن (القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٧٠ م) ط١، ص ٢٢٥.
- ٧- جورج ماي، السيرة الذاتية، المترجم: محمد القاضي وعبد الله صولة (تونس: بيت الحكمة، ١٩٩٩ م) ص ٢٠، و٣٤، ولم أعث على ترجمة جورج ماي، كما لم يصف المترجمان شيئاً من هذا القبيل.
- ٨- شكري المبخوت، سيرة الغائب، سيرة الآتي - السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطفه حسين (تونس: دار الجنوب، ١٩٩٢ م) ط١، ص ١٠، ورقية أحمد وهند حسين، السيرة وأنواعها في الأدب العربي، بحث لنيل شهادة البكالوريوس، قسم اللغة العربية بكلية الآداب، جامعة القادسية بالعراق، نوقشت سنة ٢٠١٨ م، ص ١٣.

أوغسطين تستحق لقب أقدم سيرة ذاتية باقية"^(٩).

المطلب الثاني: السيرة الذاتية في الأدب العربي

فن السيرة الذاتية جنس أدبي عريق في حضارتنا العربية الإسلامية وإن لم يتبلور بما يتيح له الانفراد بمصطلح نقدي خاص به، فقد صيغ على نماذج تكاد تصل به درجة الاكتمال في المضمون والغرض والأسلوب^(١٠). وبذلك فالأدب العربي القديم عرف سيراً ذاتية ولكن ليس بمفهومها الاصطلاحي المعاصر ولا بمستواها الفني الحديث، وإنما كانت قريبة من مبادئ ثقافية عامة ترتبط برؤية العربي قديماً لذاته وللكون والإله^(١١).

وقد وقف يحيى إبراهيم عبد الدائم في دراسته للسيرة الذاتية في التراث العربي على جملة من العناصر الفنية تحققت في السيرة الذاتية القديمة منها: الصدق، التجرد، الصراحة، تصوير الصراع، وجلو الخط البياني لحياة الكاتب منذ مرحلة الطفولة إلى مراحل رفيعة من حوادث حياته، فضلاً عن استرجاع ماضي الحياة الشخصية بما فيها من حسنات وسيئات، استعادة موثوقة على أساس من وحدة البناء وحسن التقديم وجمال السرد وحرارة الحوار^(١٢).

ويمكننا أن نعدّ الأخبار الشخصية المنقولة شفهيًا من بعض الصحابة رضوان الله عليهم؛ هي أول سير ذاتية في تاريخ الأدب العربي، ومنها؛ سيرة الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله

٩- عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية (مصر: الشركة المصرية، ١٩٩٢م) ص ٣٩، وندى محمود مصطفى الشيب، فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين ١٩٩٢-٢٠٠٢م: نوقشت الرسالة بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية - نابلس، فلسطين، ٢٠٠٦م، ص ١٦.

١٠- عبد السلام المسدي، النقد والحداثة (تونس: دار العهد الجديد، ١٩٨٩م) ط ٢، ص ١١٥، وأحمد طه أحمد، "السيرة الذاتية: مفهومها وتطورها"، مجلة: آداب الرفادين - العدد: ٥٩، جامعة الموصل - العراق، سنة ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ص ١٤٤.

١١- شكري المبخوت، سيرة الغائب، سيرة الآتي - السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطفه حسين، ص ٢٦.

١٢- يحيى إبراهيم عبد الدائم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٥م) ص ٤٢.

عنه، التي سرد فيها بالتفصيل سعيه الحثيث في البحث عن الحق وما لاقى في سبيل ذلك من أهوال حتى شرفه الله بالإسلام، ومنها حديث الإفك الذي ترويه أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، وحديث توبة كعب بن مالك رضي الله عنه، عن تخلفه في غزوة تبوك، وقد روت كتب السنة وتراجم الصحابة هذه الأحاديث عن أبطالها بضمير المتكلم^(١٣).

وفي القرن الثالث الهجري ظهرت سير ذاتية في قالب قصصي مكتوب، كسيرة حنين بن إسحاق (ت: ٢٦٠هـ)، الذي كان أول من طرق باب السيرة الذاتية في الأدب العربي، إذ تأثر برسالة جالينوس اليوناني (١٣١ - ٢٠١م) التي صور فيها ما لقيه من محن وشدائد من بعض نظرائه، وأبناء حرفته، وحتى أقاربه بسبب ما ناله من حظوة عند الخليفة العباسي المتوكل (ت: ٢٤٧هـ). وفي أواخر القرن الثالث الهجري ظهرت سيرة أحمد بن طولون التي كتبها أحمد بن أبي يعقوب بن يوسف الداية (ت: ٣٣٤هـ)، وفي نهاية هذه السيرة سجل الكاتب سيرته الذاتية^(١٤)، وسجل الصوفي المشهور الحارث بن أسد المحاسبي (ت: ٢٤٧) سيرته الذاتية في مقدمة كتابه: الوصايا وهي تحتوي على لمحات كثيرة من سيرته الذاتية الروحية، كما كتب الإمام أبو بكر الرازي سيرته الذاتية (ت: ٣١٣هـ)، وكذلك الحكيم الترمذي محمد بن علي بن الحسن (ت: ٣٢٠هـ) الذي سجل سيرته الذاتية بعنوان: بدء شأن^(١٥).

-
- ١٣ - وقد رواها جميعا ابن أبي أصيبعة في كتابه: عيون الأنباء في طبقات الأطباء (القاهرة: المطبعة الوهابية، ١٢٩٩هـ) ج ١، ص ١٩٠، ٣٠٩، وج ٢ ص ٣، ٩١ و ٩٩، ٢٠١، وانظر: أسامة محمد البحري، السيرة الذاتية في التراث العربي، أنواعها وتشكيلاتها الزمنية (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣٩هـ) ص ٩، ومريم حماد عليان الحسنات، السيرة الذاتية في الأدب الإسلامي الحديث، رسالة ماجستير، في كلية الآداب، قسم اللغة العربية، بالجامعة الإسلامية بغزة، نوقشت سنة ٢٠١٣م، ص ٢٥، (بتصرف يسير).
- ١٤ - بكر بن عبد الله أبو زيد، العلماء الذين ترجموا لأنفسهم [جزء مخصص لـ] "السيرة الذاتية" (الرياض: دار مطابع الهلال، ١٤٠٥هـ) ط ١، ص ٢٨.
- ١٥ - انظر: أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بـ"الحكيم الترمذي"، بدء شأن أبي عبد الله [في كتاب] "ختم الأولياء، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٥م) وكذلك: دويت راينولدز، ترجمة النفس، السيرة الذاتية في الأدب العربي،

المبحث الثاني: تطور فن السيرة الذاتية وفي العصر الحديث

المطلب الأول: تطور فن السيرة الذاتية عبر القرون

شهد القرن الخامس الهجري تطوراً ملحوظاً في فن السيرة الذاتية حيث ظهرت أنواع من السير الذاتية عني أصحابها بتسجيل الوقائع والأحداث المختلفة التي مرّوا بها في حياتهم وقد مال بعض الكتاب إلى الإيجاز فظهرت سيرهم الذاتية في صورة رسالة صغيرة مستقلة^(١٦)، أو ضمنها مقدمة أحد كتبه ومؤلفاته^(١٧)، أو ألحقها بنهاية الكتاب^(١٨). في حين آثر الآخرون الإطناب وأفردوا

ترجمة: سعيد الغانمي (أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ٢٠٠٩م) ط١، ص١٦٩-١٨٣. وكذلك بتحقيق: محمد خالد مسعود، نقلا عن: مصادر السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم، لصالح معيض الغامدي، مجلة علامات، النادي الأدبي بجدة، مارس-١٩٩٣م، ص٤٥، وأسامة محمد البحيري، السيرة الذاتية في التراث العربي، أنواعها وتشكيلاتها الزمنية، ص١١. والحارث بن أسد المحاسبي، الوصايا، تحقيق: عبد القادر عطا (القاهرة: مطبعة صبيح، ١٩٦٥م) ص٢٤.

١٦- منها؛ سيرة ابن سينا (ت: ٤٢٨هـ)، وابن الهيثم (ت: ٤٤٠هـ)، وعلي بن رضوان (ت: ٤٦٠هـ)، وعبد اللطيف البغدادي (ت: ٦٢٩هـ) انظر: أسامة محمد البحيري، السيرة الذاتية في التراث العربي، أنواعها وتشكيلاتها الزمنية، ص٩، ومريم حماد عليان الحسنات، السيرة الذاتية في الأدب الإسلامي الحديث، ص٢٥ (بتصرف يسير)، وأحمد حافظ حكيمي، القصص الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين (الرياض: المطابع الأهلية، ١٩٧٦م) ج١، ص١٨٣-١٩٠.

١٧- مثل مقدمة كتاب سموءال بن يحيى المغربي إفحام اليهود (ت: ٥٧٠هـ)، تحقيق: عبد الوهاب طويلة (بيروت: الدار الشامية، ١٤١٠هـ) ط١، ص١١، والبحيري، السيرة الذاتية في التراث العربي: أنواعها وتشكيلاتها الزمنية، ص١١.

١٨- مثل ترجمة ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ) في كتابه: معجم الأدباء، وترجمة أبي شامة المقدسي (ت: ٦٦٥هـ) في كتابه: الروضتين في أخبار الدولتين، وترجمة لسان الدين بن الخطيب (ت: ٧٧٦هـ) في كتابه: الإحاطة في أخبار غرناطة، وترجمة ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) في كتابه: رفع الإصر عن قضاة مصر، وترجمة الإمام السخاوي (ت: ٩٠٢هـ) في كتابه: الضوء اللامع في أعلام القرن التاسع، وترجمة الإمام السيوطي (ت: ٩١١هـ) في كتابه: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ونشرت مستقلة بعنوان: التحدث بنعمة الله. انظر: أسامة محمد البحيري، السيرة الذاتية في التراث العربي، أنواعها وتشكيلاتها الزمنية، ص٩-١٠.

كتبا مستقلة لسيرهم الذاتية^(١٩).

إننا لا نتوقع من الأدب العربي القديم أن يعرض لنا سيرة ذاتية تحمل ملامح السيرة الذاتية الحديثة وسماتها، لأن لكل عصر أدبي ملامحه وسماته الخاصة، كما أن الأجناس الأدبية في تطور مستمر. لذلك فنحن نعدّ الكتابات الذاتية في التراث العربي أصولاً أو جذوراً للسيرة الذاتية، لا سيرة ذاتية. ومن الجدير ذكره أننا عندما نتحدث عن السيرة الذاتية بمفهومها الحديث، فإننا لن نجد نموذجاً تاماً لها في أي أدب عالمي قديم، للأسباب التي منعت وجود مثل هذا النموذج في الأدب العربي القديم.

ومنذ منتصف القرن الخامس الهجري ظهرت كتب مستقلة وكاملة في فن السيرة الذاتية مثل: طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ)، ومذكرات الأمير عبد الله بن بُلُقَيْن (ت: ٤٨٧هـ) آخر ملوك بني زيري بغرناطة، بعنوان: التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، والمنقذ من الضلال سيرة أبي حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)^(٢٠). وتتابع الأمر في القرون التالية فظهرت في مستهل القرن التاسع سيرة العلامة المغربي عبد الرحمن بن خلدون (ت: ٨٠٨هـ) التي كتبها تحت عنوان: التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، وهي كما يظهر من العنوان، مزيج من أدب السيرة الذاتية وأدب الرحلة^(٢١). وسيرة الصوفي عبد الوهاب بن علي الشعراني (ت: ٩٧٣هـ) في كتابه: لطائف المنن والأخلاق، هذا بالإضافة إلى سير كل من الإمام فخر

١٩- مثل كتاب المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، والنكت العصرية في أجناد الوزارة المصرية لعبارة بن علي الحكمي اليمني (ت: ٥٦٩هـ)، وهو سيرة ذاتية له، وكتاب الاعتبار سيرة ذاتية لأسامة بن منقذ (ت: ٥٨٤هـ)، وابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) ترجم لنفسه في كتابه لفته الكبد، وابن سعيد المغربي (ت: ٦٨٥هـ) ترجم لنفسه في كتابه: المُعرب في حُلَى المغرب، وأبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٨هـ)، ترجم لنفسه في كتابه: النَّصَار في المَسَلَاة عَنْ نَصَار، وغيرهم كثير كالشعالبي وابن الجزري والشوكاني والألوسي. ينظر: السيرة الذاتية في الأدب الإسلامي الحديث، ص ٢٥، وفدوى طوقان ريم العيساوي، نقد الذات قراءة السيرة: (الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨م) ط ١، ص ٦١.

٢٠- الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق سعد الفقي (جدة: دار المنهاج، ٢٠١٣م) ط ١.

٢١- دُوَيْت راينولدز، ترجمة النفس، السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص ٣٥٤.

الدين الرازي، ولسان الدين بن الخطيب، والإمام السخاوي، والإمام السيوطي، وغيرها من السير الذاتية الكثيرة (٢٢).

المطلب الثاني: فن السيرة الذاتية في العصر الحديث

إن أول من أرسى قواعد فن السيرة الذاتية في العصر الحديث هو الأديب الفرنسي الشهير جان جاك روسو معلنا ريادته له عام ١٧٦٩م حين صدور سيرته الذاتية بعنوان: اعترافات جان جاك روسو. ثم تبعه زمرة من الأدباء والشعراء في أوروبا فاهتموا بإخراج سيرهم الذاتية وضمونها الأحداث والوقائع التي مروا بها في حياتهم الشخصية.

لقد مرّت بنا نماذج من السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم التي كانت تدور في إطار معين لا يتجاوز سرد الأحداث والوقائع التي تقلب فيها صاحب السيرة، إذ كان الأمر يقتصر على سرد بعض أهم الأحداث والوقائع، أما السيرة الذاتية بمفهومها الحديث وملاحظها وسماتها وأدواتها الحديثة فقد أخذناها من الغرب.

وقد تمثلت أول سيرة ذاتية في الأدب العربي الحديث بمفهومها الحديث في كتاب الساق على الساق في ما هو الفاريق لأحمد فارس الشدياق (ت: ١٨٨٧م) الذي صدر في باريس عام ١٨٥٥م، وقد حمله كثيرا من سيرته بالإضافة إلى ملاحظات لغوية اهتم بإيرادها أحمد فارس. وسرعان ما اتجه لفيف من أدبائنا العرب إلى هذا الفن الأدبي الحديث يضربون فيه بسهمهم فكتب الأديب المصري عبد الرحمن شكري (ت: ١٩٥٨م) كتابه الاعترافات على غرار اعترافات جان جاك روسو ونشره عام ١٩١٦م في مطبعة بالإسكندرية.

ولكن يبقى لعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين (ت: ١٩٧٣م) زيادة من صنف آخر فهو يعد الأب الروحي لهذا الفن في الأدب الحديث وذلك حينما صدر الجزء الأول من كتابه الأيام عام ١٩٢٦م وبعده الجزء الثاني الذي صدر عام ١٩٣٩م، ونشر الجزء الثالث في عام ١٩٧٢م

٢٢- معجم المصطلحات الأدبية، ص ٢٠٢، ودويت راينولدز، ترجمة النفس، السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص ٣٦٦.

تقريباً، وهي أشهر سيرة ذاتية في الأدب العربي المعاصر.

ولعل هذا النجاح الذي حققه كتاب الأيام دفع كثيراً من الأدباء لتسجيل أحداث حياتهم ونقل تجربتهم إلى الأجيال التالية، ولعلي أكون مصيباً في أن كتابة السيرة الذاتية تأتي من باب التحدث بنعم الله، ونقل تجارب مهمة عاصرها صاحب السيرة إضافة إلى تسجيل آرائه ونظراته إلى الحياة التي عاشها في مجتمعه... ولشدة ذبوع هذا الفن وانتشاره في العامة والخاصة والأثر الذي يتركه في نفوس القراء فقد انجذب واستهوى هذا الفن من غير الأدباء كثيراً من الوزراء والولاة والعسكريين والساسة والأطباء والتجار والفنانين والمربين.

وامتد هذا الفن فكتب الأديب الشهير إبراهيم عبد القادر المازني سيرته الذاتية بعنوان: إبراهيم الكاتب عام ١٩٣١م، وتلاه الأديب المصري المعروف أحمد أمين فكتب سيرته الذاتية بعنوان: حياتي ونشرها عام ١٩٥٠م، وجاء بعده الأستاذ سهيل إدريس ونشر روايته الحي اللاتيني عام ١٩٥٣م^(٢٣)، التي يحكي فيها قصة حياته... وسرعان ما انتشر هذا الفن في البلاد العربية المختلفة، فوجدنا الأديب والناقد المهجري ميخائيل نعيمة يحكي سيرته الذاتية في ثلاثة أجزاء حملت عنوان سبعون، أصدر الجزء الأول عام ١٩٥٩م^(٢٤)، والثاني والثالث في عام ١٩٦٠م، ويتناول في كل جزء منها مرحلة من مراحل حياته، وتبعه الأستاذ لطفي السيد فكتب قصة حياتي عام ١٩٦٢م، وكتب الأستاذ عباس محمود العقاد عن مواقف مختلفة من حياته في مقالات متفرقة ونشرها في كل من مجلة الهلال والفصول، وقد جمعت هذه المقالات في كتاب بعنوان: أنا، الذي نُشر عام ١٩٦٤م بعد وفاته بشهور^(٢٥). كما كتب الأستاذ توفيق الحكيم سجن العمر عام ١٩٦٧م، أما

٢٣- سهيل إدريس، الحي اللاتيني (بيروت: دار الآداب، ١٩٥٣م) ط ١.

٢٤- صدرت المراحل الثلاثة من دار نوفل للنشر، بيروت. انظر: ميخائيل نعيمة كما عرفته: للباحثة الدكتورة ماري

نيكولايفا (Maria Nikolajeva) (بيروت: المركز التربوي للبحوث والإنماء، ٢٠١٣م).

٢٥- انظر: يحيى إبراهيم عبد الدائم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص ٢١٥، وقد جمعها الكاتب الصحفي

طاهر الطناحي بعد موافقة العقاد نفسه انظر: عز الدين إساعيل، الأدب وفنونه: دراسة ونقد، [مزيدة ومنقحة]

الدكتور زكي نجيب محمود فقد كتب عن حياته ونشرها في ثلاثة مؤلفات، وهي؛ قصة نفس نُشر عام ١٩٦٥م، وقصة عقل ظهر عام ١٩٨٣م، وحصاد السنين صدر عام ١٩٩١م^(٢٦)، ثم ألفت الأستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن سيرتها الذاتية بعنوان: على الجسر بين الحياة والموت، ونشرتها عام ١٩٧٧م... وكتب الأستاذ الدكتور شوقي ضيف سيرته الذاتية في جزئين؛ نشر الجزء الأول بعنوان: معي، عام ١٩٨٥م، ونشر الجزء الثاني المعنون بـ معي، ذكريات ومشاهدات، عام ٢٠٠٣م. وكان قد ألف كتابا في فن السيرة الذاتية بعنوان: الترجمة الشخصية عام ١٩٥٦م، وكذلك كتبت الشاعرة الفلسطينية الشهيرة فدوى طوقان سيرتها التي كانت تحمل عنوان: رحلة جبلية... رحلة صعبة ونشرت عام ١٩٨٥م، وكذلك تناول الأديب الفلسطيني الشهير جبرا إبراهيم جبرا سيرته الذاتية ونشرها بعنوان: البئر الأولى عام ١٩٩٣م^(٢٧)... كما روت الشاعرة العراقية نازك الملائكة سيرتها الذاتية التي ظهرت بعنوان صفحات من حياة نازك الملائكة عام ١٩٩٤م، ويُخرج الروائي الشهير والأديب المعروف إحسان عبد القدوس سيرته الذاتية بعنوان: غربة الراعي سنة ١٩٩٦م، وكتب المفكر المغربي محمد عابد الجارحي سيرته بعنوان: حفريات في الذاكرة ونشرها في عام ١٩٩٧م.

موجز الدراسة:

السيرة الذاتية نشأت عند العرب قبل الغرب فقد كان لديهم اهتمامات فكرية يمكن أن

(القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠١٣م) ط٩، ص ١٥٨.

٢٦- صدرت الأسفار الثلاثة من دار الشروق بالقاهرة، ولها طبعات جديدة أخرى أيضا في الأعوام التالية.

٢٧- انظر: إبراهيم جبرا، البئر الأولى (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م) ط١، وقرءاءات لصقر أبو فخر [مقال نشر في] مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد ٧، العدد ٢٥، شتاء ١٩٩٦م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية (والمقال على الموقع: www.palestine-studies.org) و أحمد علي آل مريع: محمد باوزير، لمحات في أدب السيرة الذاتية، الحد والمفهوم، [مقال في] جريدة الرياض، العدد: ١٤٥١٩، الثلاثاء ١٧ ربيع الأول ١٤٢٩هـ - ٢٥ مارس ٢٠٠٨م.

نعدها الملامح الأولى لفن السيرة الذاتية، ولكنها تطورت بمفهومها الحديث عند الغرب وأخذها العرب منهم في حلتها الجديدة.

التراث العربي في فن السيرة الذاتية أقدم من التراث الغربي، حين شرع فن التراجم بالظهور في بريطانيا وفرنسا بصورة ساذجة كانت التراجم العربية الإسلامية قد بلغت حدا من الكثرة والتنوع وسعة الأفق في موضوعات التراجم بحيث لا يمكن أن يدانها بداية غير منتظمة الخطى في الآداب الأوروبية، وكما ورد في الموسوعة البريطانية من أن أقدم نموذج السيرة الذاتية إنما ظهر في الغرب في القرن الخامس عشر الميلادي.

في القرن الثاني عشر الميلادي والسادس الهجري كان كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (ت: ٥٨٤هـ)، يعد نموذجا عاليا للمذكرات والتراجم الذاتية قبل أن يكتب "صمويل بيبس الإنجليزي (ت: ١٧٠٣م) وريتز الفرنسي (ت: ١٦٧٢م) مذكراتها بقرون. فهي تصور لنا سيرته وأعماله وفروسيته، كما تصور لنا طائفة من صور المجتمع الإسلامي في عصر الأيوبيين.

List of References

1. ‘abdul raḥman badwī, **al-maūt wa al-‘abqariāt** (ālqāhiraṭ: maktabaṭ al-nahḍaṭ, 1945)
2. ‘abdul salām al-masdī, **al-naqd wa al-ḥadāṭāṭ** (tūnas: dār al-‘ahd al-jadīd, 1989)
3. āḥmad ḥāfiẓ ḥukmī, **al-qīṣaṣ al-islāmīāṭ fi ‘ahd al-nubawaṭ wa al-kḥulafā’ al-rāshidīn** (ālriāḍ: al-maṭābi‘ al-‘āhlīāṭ, 1976m)
4. aibn abī auṣībi‘ aṭ, **‘uīwun al-‘ānbā’ fiaī ṭbaqāt al-‘aṭībā’** (ālqāhiraṭ: al-maṭba‘aṭ al-wahābīāṭ, 1299)
5. al-ghazālī, **al-manqaḍ min al-ḍalāl** (jadaṭ: dār al-minḥāj, 2013m)
6. al-ḥārīṭh bin asad al-muḥāsabī, **al-waṣāīā** (ālqāhiraṭ: maṭba‘aṭ ṣabīīḥ, 1965m).
7. al-samū’ al bin īaḥīai al-maḡribī, **badl al-majhūd fi īfḥām al-īahaūd** (bīrūt: al-dār al-Shāmīāṭ, 1410h)
8. ausāmī muḥamad al-bḥīrī, **al-sīraṭ al-ḍāṭīāṭ fi al-turāṭh al-‘arabī, ānwā’uhā wa tashkīlātuhā al-zamanīāṭ** (ālriāḍ: maktabaṭ al-malik fahad al-waṭanīṭ, 1439)
9. bakar bin ‘abd al-lh, **al-‘ulamā’ al-ḍīna taraḡamuwā l’ānfusihim** (ālriāḍ: dār maṭābi‘ al-hilāl, 1405h.)
10. fadwa ṭaūqān, **naqd al-ḍāt qirā’ aṭ al-sīraṭ: rīim al-‘īsawī** (al-dār al-miṣrīāṭ al-labnānīāṭ, 1998)
11. ibrahīm fathī, **mu’jam al-miṣṭalaḥāt al-‘adabīāṭ** (tūnas: al-mū’sasaṭ al-‘arabīāṭ, 1986)
12. ‘iz al-ḍīn ismā‘īl, **al-‘adab wa funūnuh, dirāsāṭ wa naqd** (al-qāhiraṭ: dār al-fikr al-‘arabī, 2013)
13. JAbrā ibrahīm, **al-bi’ir al-‘aūla**, (bīrūt: al-mū’asasaṭ al-‘arabīāṭ lildirāsāt wālnashr, 1993)
14. jaūrj māī, **al-sīraṭ al-ḍāṭīāṭ**, (tūnas: baīṭ al-ḥikam, 1999)
15. laṣkarī al-mabḥūt, **sīraṭ al-ghā’ib sīraṭ al-‘aṭī – al-sīraṭ al-ḍāṭīāṭ fi kitāb al-‘āīām liṭah ḥusaīn** (tūnas: dār al-janūb, 1992)
16. Lemuhammad abdul Ghani Hasan, **al-t.arājim wa al-sīar** (al-qāhiraṭ: dār al-ma‘ārif)
17. māhir ḥasan fahmī, **al-sīraṭ tāriḥ wa fan** (ālqāhiraṭ: maktabaṭu al-nahḍaṭ, 1970)

18. māriām ḥāmād 'ulīān al-'ḥāsānāt, **al-'sīrāt al-'dātīāt fī al-'ādāb al-'islāmī al-'ḥādīth**, Mphil thesis of Arabic Faculty, Ghaza Islamic University-, 2013.
19. muḥammad bin 'alī al-ḥakīm al-tirmidī, **khatam al-'āulīā'** (bīrūt: al-maṭba'at al-kāthūlīkīāt, 1965)
20. nida maḥmūd muṣṭafai al-shaīb, **fan al-saīrāt al-'dātīāt fī al-'ādāb al-falaṣṭīnī baīna 1992-2002**, jamia alnajah al watania – Nablus, Palestine 2006.
21. Reynolds, Dwight Fletcher **tarjamāt al-nafs, al-'sīrāt al-'dātīāt fī al-'ādāb al-'arabī**, (ābūzabī: haṭ'iat ābūzabī llḥaqāfāt wāltu.rāth, 2009).
22. Ruqayyah Ahmad wa Hind Husain **al-'sīrāt wa ānwā'uhā fī al-'ādāb al-'arabī**, thesis of Bachelor in Arabic, Qadsia University Iraq, 2018.
23. Sharf 'abd al-'azīz, **ādāb al-'sīrāt al-'dātīāt** (miṣr: al-Sharikāt al-miṣrīāt al-'ālmīāt, 1992)
24. Shaūqī ḍaīf, **al-t.arjumāt al-shaḥṣīāt** (al-qāhira: dār al-ma'ārif).
25. suḥaīl idrīs, **al-'ḥaī al-lāatūnī**, (bīrūt: dār al-'ādāb, 1953)
26. wil wāīrīl daīūrānt, **qīṣāt al-'ḥadāraī**, Translated by: zakī najīb maḥmūd (bīrūt: dār al-jīl)
27. Yahya Ibrahim abduddaem, **al-ta.rjumāt al-'dātīāt fī al-'ādāb al-'arabī al-'ḥadīth** (bīrūt: Dār 'iḥyā' al- Turāth al- 'arabī 1974)

Daureyat

28. **Al sserah azzatia wa malamihuha fil adabe alarabi al muasir**: syed Ibrahim arman, majallah, faslisiatu dirasat al adab almuaasir, aladad: 11, almujaallad 3, alkhareef, jamiatu aazadi alislamia, jiraft – betهران Iran, 1432.
29. **Al sserah azzatia: mafhoomuha wa tatowroha lelustaz ahmad taha ahmad**, majallatu: aadaabu rrafidain, - aladad: 59, tasduru min jametul musil – al Iraq, 1432/2011.
30. **Qiraatu lesaqar** abu fakhr majallatudirsat al filastinia, al mujallad: 7, aladad: 25, shita 1996, muasastu ddirasatul filasthenia, (www.palestine-studies.org).
31. Lamahat fe adabi assiratu azzatia, alhad wal mafhoom, ahmad alia al muryyaa: Muhammad bawazeer, jareedatu ar Riyadh, aladad: 14519, march 25, 2008.

32. **Masaderu assiratu azzatiah fe al adab al arabi al qadeem:** le salih maezdul ghamidi, majallatu alamat, annadi al adabi bejaddah, mars 1993.
33. **Mikhail nueama kama araftuhu:** lilbahesatu adduktura Maria Nikolajeva, al markaz atarbawi lilbuhoos wal inmaa, Barut – Lubnan, 2013. (<https://www.crdp.org/mag-description?id=7736>)